
قبس من نور الصحابة والتابعين

د. محمود جيلاني



أبو عبيدة بن الجراح – أمين هذه الأمة

المحتويات

- 3.....مقدمة
- 4.....مناقبه
- 7.....أبو عبيدة يوم أحد
- 8.....أبو عبيدة أميرا في غزوة سيف البحر
- 10.....أبو عبيدة المبعوث الأمين
- 12.....أخلاق أبي عبيدة
- 14.....أبو عبيدة يوم السقيفة
- 15.....أبو عبيدة في حروب الشام
- 18.....أبو عبيدة وخالده
- 20.....أبو عبيدة وعمر
- 23.....طاعون عمواس
- 25.....وفاة أبي عبيدة
- 27.....كلمة أخيرة (حسن الخلق)

أردت أن أكتب مقدمة تليق بأبي عبيدة كأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد السابقين للإسلام، ولكنني لم أجد أجمل من وصف الرسول ﷺ له حين قال:

لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ.

متفق عليه

ولا يوجد وصف لكمال خلقه من قوله ﷺ:

مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَوْ شِئْتُ لَأَخَذْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ خُلُقِهِ

إِلَّا أَبَا عُبَيْدَةَ رواه الحاكم مرسلًا ورواه ثقات

ولعل هذا الوصف البسيط الرائع الدقيق يعطي ملامح شخصية أبي عبيدة، صاحب الخلق الرفيع، وفي الصفحات التالية نحاول أن نبرز شيئاً قليلاً من هذا الخلق الكامل والسمات الفريدة المميزة لسيدنا أبي عبيدة بن الجراح.

قال عبدالله بن عمر : ثَلَاثَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ

**أَصْبَحَ النَّاسُ وَجُوهَهَا ، وَأَخْسَنَهَا أَخْلَاقًا وَأَثْبَتَهَا حَيَاءً ،
وَإِنْ حَدَّثُوكَ لَمْ يَكْذُبُوكَ ، وَإِنْ حَدَّثْتَهُمْ لَمْ يَكْذُبُوكَ**

أَبُو بَطْرِ الصَّدِيقُ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ

وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ

❖ بداية فإن اسم سيدنا أبي عبيدة هو عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري (من بنى فهر)، لكنه مشهور بكنيته، ولا يعرف لأبي عبيدة سوى زوجة واحدة هي هند بنت جابر وله منها ولدان: يزيد وعمير، وذلك على غير عادة العرب في تعدد الزوجات.

❖ كان أبو عبيدة أحد العشرة السابقين للإسلام، فقد انطلق عثمان بن مَطْعُونٍ وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بن عبد المطلب (ابن عم النبي، الذي استشهد في بداية غزوة بدر)، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو سلمة بن عبد الأسد (زوج أم سلمة قبل استشهاده)، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ حَتَّى أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، وَأَنْبَأَهُمْ بِشَرَائِعِهِ، فَأَسْلَمُوا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ.

❖ وهناك إشارات كثيرة إلى أن أبا عبيدة كان في منزلة لا تقل عن منزلة أبي بكر وعمر، ففي الحديث قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

❖ **نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبو**

عبيدة بن الجراح. حسنه الترمذى

وهذه إشارة ملفتة أن يجمع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه وبين أبي بكر وعمر.

❖ وكان أبو عبيدة من أحب الناس إلى رسول الله في حديث عمرو بن العاص أنه سأل الرسول ﷺ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، قَالَ: مِنَ الرَّجَالِ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ. صحيح البخاري

❖ ومن مناقبه العالية ﷺ أن عائشة رضي الله عنها كانت تراه الأصلح للخلافة بعد أبي بكر وعمر لو كان حيا. فقد روى مسلم أن عائشة سُئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف؟ قالت: أبو بكر فقبل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر ثم قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح ثم انتهت إلى هذا. وهذا الأثر عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تضمن منقبة عظيمة لأبي عبيدة وهي اعتقادها رضي الله عنها أنه صالح للخلافة وأنه أهل لها ﷺ وأرضاه.

❖ ومن مناقبه ﷺ أن وفاته كانت شهادة في سبيل الله من وجهين: فقد مات في الطاعون الذي حصل بأرض الشام زمن الفاروق ﷺ وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن من كانت وفاته بسبب هذا الداء فهو شهيد، ثم هو أيضا قد مات مجاهدا في سبيل الله وقد أخبر ﷺ أن من مات في سبيل الله فهو شهيد. وقد جمع الله لأبي عبيدة بين هذين الوصفين. فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ

مَا تَعُدُّونَ الشَّهَدَاءَ فِيكُمْ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ. قَالَ: إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيلِ، "قَالُوا: فَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونَ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي البَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالغَرِيقُ شَهِيدٌ. وفي رواية أخرى: مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالمرأةُ تَمُوتُ بِجَمْعِ شَهِيدَةٍ. (المقصود المرأة الحامل التي تموت وهي جامعة ولدها في بطنها). وهذه الموتات إنما كانت شهادة بتفضل من الله تعالى بسبب شدة ألمها.

❖ قال ابنُ عساکر صاحب كتاب تاريخ دمشق: ومن مناقبه أنه كان أول من سُمي أمير الأمراء، وذلك لما تولى أمرة الجيوش في فتوح الشام.

❖ وفوق كل ما سبق، فقد كان أبو عبيدة معروداً فيمن جمَعَ القرآن العظيم (أي ممن حفظ القرآن الكريم كاملاً).



أبو عبيدة يوم أحد

روى عن عائشة أنها قالت: سمعتُ أبا بكر يقول: لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ وَرُمِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي وَجْهِهِ دَخَلْتُ فِي وَجْنَتَيْهِ حَلَقَتَانِ مِنْ الْمُغْفَرِ (المغفر: حلقات من الصلب توضع على الوجه للوقاية من ضربات السيوف والسهام وغيرها)، فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنْسَانٌ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ يَطِيرُ طَيْرَانًا، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ طَلْحَةَ (كان أبو بكر يتمنى أن يكون هذا الرجل واحدا من عشيرته)، حَتَّى تَوَافِينَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ قَدْ سَبَقَنِي. فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَقْسِمُ عَلَيْكَ أَنْ تَتْرُكَ ذَلِكَ لِي، وَخَشِيَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْ يَقْتُلَهُمَا بِيَدِهِ أَنْ يُؤَلِّمَ رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَتَرَكْتُهُ؛ فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِنَتَيْهِ (الأسنان الأمامية) إِحْدَى حَلَقَتَيْ الْمُغْفَرِ فَنَزَعَهَا، وَسَقَطَتْ ثَنِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ، ثُمَّ أَخَذَ الْحَلْقَةَ الْآخَرَى بِنَتَيْهِ الْآخَرَى فَسَقَطَتْ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي النَّاسِ أَثْرَمَ. (الأثرم أو الأهتم هو من كسرت أسنانه الأمامية وبالطبع هذه يشوه الوجه). قَالَ أَبُو بَكْرٍ:

فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ هَتَمًا

وكيف لا.. وقد كان هتمه في سبيل الله.. ودفاعا عن رسول الله.



أبو عبيدة أميرا في غزوة سيف البحر

استعمل رسول الله ﷺ أبا عبيدة غير مرة، وكان أبو عبيدة دائما محبوبا من جيشه مطاعا، وفي صحيح البخاري قصة غزوة سيف البحر، وفيها أن رسول الله ﷺ بعث بعثا باتجاه الساحل (ساحل البحر الأحمر) فأمر عليهم أبا عبيدة وهم ثلاث مائة فلما كانوا ببعض الطريق فَنِي الزاد. فأمر أبو عبيدة بجمع أزواد الجيش كله ثم صار يطعمهم جميعا بالتساوي.. حتى أوشك الزاد أن يفني فلم يصبهم إلا ثمرة تمر.. ف قيل للراوي: وما تغني التمرة؟ قال: لقد عرفنا قيمتها حين فنيت هي الأخرى. وفي رواية: كنا نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها الماء فتكفينا إلى الليل، حتى قدمنا البحر، فإذا البحر يلقي إلينا حوتا ضخما فقال أبو عبيدة في البداية: ميتة!! ورفض أن نأكله. ثم قال: لا، نحن رسل رسول الله وفي سبيل الله فكلوا، فأكل منه الجيش 18 يوما. وكان الحوت ضخما حتى أقاموا من ضلوعه هيكلًا فكان أضخم بعير يعبر من تحته (صحيح البخاري).

فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال: ما حبسكم؟ فذكروا له حديث الحوت. فقال: إِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ رَزَقَمُوهُ اللهُ، أَمَعَكُمْ مِنْهُ شَيْءٌ؟ قالوا: نعم. فأكل منه ﷺ. الحديث في الصحيحين

ويبدو أن سيدنا أبو عبيدة في هذه الغزوة لم يكن قد وصل إلى علمه بعد أن ميتة السمك حلال، أو ربما اختلفوا في توصيف الحوت وهل

هو نوع من السمك أم لا، فقد سأل رجلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ، وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ؛ فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا، أَفَنَتَوَضَّأُ بِمَاءِ الْبَحْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُوَ الطَّهْرُ مَاؤُهُ، الْحِلُّ مَيْتَتُهُ. رواه الأربعة وهو صحيح

قال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه:

التهلكة: هو أن يذنب، ثم لا يعمل بعده خيراً
حتى يهلك

أبو عبيدة المبعوث الأمين

واختاره رسول الله ليذهب إلى نصارى نجران (تقع هذه المدينة الآن جنوب السعودية قرب اليمن)، وذلك حين جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله ﷺ، فَأَرَادَا أَنْ يُلَاعِنَاهُ (الملاعنة أن يبتهل الفريقان بالدعاء باللعنة على الكاذب منهما كما قال تعالى ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾) فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تُلَاعِنَهُ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعِنَاهُ لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا (أولادنا) مِنْ بَعْدِنَا أَبَدًا. فَقَالَا: لَا تُلَاعِنُكَ، وَلَكِنْ نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَ، فَأَبْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا فَقَالَ: لَا بَعْثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ، فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَصْحَابُهُ فَقَالَ: قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ. فَلَمَّا قَامَ قَالَ: هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ. صحيح البخاري

ثم بعثه ثانية إلى أهل اليمن حين قدم عليه أهلها فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمنا الإسلام فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: هذا أمين هذه الأمة.

وكان لمقام أبي عبيدة باليمن أثره البالغ في أهلها حتى أن أبا بكر حين كانت تأتيه الوفود من اليمن ليوصلها إلى حروب العراق كانوا يأبون إلا أن يلحقوا بجيش أبي عبيدة بالشام حتى لو لم تكن قبائلهم معه فكانوا يقدمون أبا عبيدة حتى على أهلهم وعشيرتهم وفي ذلك أبلغ إشارة على

أثر الخلق الحميد في التأثير على الناس فلقد نسوا القبيلة والعشيرة أمام شخصية أبي عبيدة وخلقته.



سلطان

أخلاق أبي عبيدة

❖ كان أبو عبيدة موصوفا بحسن الخلق، وبالحم والتواضع، وفي قصة غزوة ذات السلاسل شاهد على ذلك: فقد بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص أميرا على الجيش المتجه إلى مدينة على مشارف الشام، فخاف عمرو من قلة الجيش فبعث يستمد مددا من رسول الله، فأرسل إليه أبا بكرٍ وَعَمَرَ فِي مَجْمُوعَةٍ مِنْ كِبَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَمَرَ نَبِيُّ اللَّهِ عَلَيْهِمُ أَبَا عُبَيْدَةَ.

فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ عمرو: أَنَا أَمِيرُكُمْ. فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: بَلْ أَنْتَ أَمِيرُ أَصْحَابِكَ، وَأَمِيرُنَا أَبُو عُبَيْدَةَ. فَقَالَ عَمْرُو: إِنَّمَا أَنْتُمْ مَدَدٌ أُمِدِدْتُ بِكُمْ. فَلَمَّا رَأَى أَبُو عُبَيْدَةَ بِنُ الْجَرَّاحِ ذَلِكَ الْجَدَلِ، وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الْخُلُقِ، لَيِّنَ الشَّكِيمَةَ، قَالَ: يَا عمرو إن رسول الله قال لي: " إِنْ قَدِمْتَ عَلَى صَاحِبِكَ فَتَطَاوَعَا، وَإِنْكَ يَا عمرو إِنْ عَصَيْتَنِي أَطَعْتُكَ، طَاعَةً لِرَسُولِ اللَّهِ، فَسَلِّمَ الْإِمَارَةَ لِعَمْرُو.

❖ وكان أبو عبيدة وهو أمير على جيوش الشام يمر بالجنود فيقول: أَلَا رَبٌّ مَبِيضٌ لثِيَابِهِ، مَدْنَسٌ لِدِينِهِ!! أَلَا رَبٌّ مَكْرَمٌ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مَهِينٌ!! بَادِرُوا السَّيِّئَاتِ الْقَدِيمَاتِ بِالْحَسَنَاتِ الْحَدِيثَاتِ. لو أن أحدكم عمل من السيئات ما بين السماء والأرض ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تقهرها.

❖ ومن تواضعه ﷺ أنه كان يقول: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي أَمْرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحْمَرَ وَلَا أَسْوَدَ يُفْضَلُنِي بِتَقْوَى، إِلَّا وَدِدْتُ أَنِّي فِي مَسَاحِهِ (يعنى أن أكون تابعا له).

❖ ورؤي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: ثلاثة من قُرَيْشٍ أَصْبَحُ قُرَيْشٍ وَجَوْهَاً وَأَحْسَنُهَا أَخْلَاقًا وَأَتْبَتُهَا جِنَانًا إِنْ حَدَّثَكَ لَمْ يَكْذِبْكَ وَإِنْ حَدَّثْتَهُمْ لَمْ يَكْذِبْكَ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَعَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ. رضي الله عنهم.



أبو عبيدة يوم السقيفة

بعد وفاة رسول الله ﷺ وقبيل دفنه، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة وعزموا على تولية سعد بن عبادَةَ خليفَةَ للمسلمين. فلما بلغ الأمر أبا بكر أسرع هو وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح إليهم فوجدوهم ملتفين حول سعد بن عبادَةَ وكان مريضاً يومها، فقام خطيب من الأنصار فنذر فضل الأنصار وقال: منا أمير ومنكم أمير. وأراد عمر أن يتكلم فقال له أبو بكر: أنصت. فقام أبو بكر فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ولكن لم تعرف العرب هذا الأمر (القيادة) إلا لهذا الحي من قريش فهم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رَضِيْتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ: عُمَرَ، وَأَبَا عُبَيْدَةَ فَبَايَعُوا أَيَهُمَا شِئْتُمْ. صحیح البخاری.

قال عمر: والله ما بقى شيء كنت أحب أن أقول إلا قد قاله باستثناء هذه الكلمة (يقصد ترشيحه لعمر وأبو عبيدة).. وقال عمر لأبي عبيدة: أبسط يدك أبايعك فأنت أمين هذه الأمة. فقال أبو عبيدة: ما رأيت لك سقطة غيرها منذ أسلمت، أتبايعني وفيكم ثاني اثنين إذ هما في الغار؟ والله ما كنت لأنتدّم بين يدي رجل أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤمنا في الصلاة فأمنا حتى مات ﷺ.

وكان في حضور أبي عبيدة دون غيره مع أبي بكر وعمر في مثل هذا الحدث الأكبر دليل واضح على منزلته التي يعرفها الجميع.

أبو عبيدة في حروب الشام

لما عزم أبو بكر على غزو الشام اختار أربعة قادة ليقودوا الجيوش هناك وهم: يزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وعمرو بن العاص، وأبو عبيدة بن الجراح. وكانت القيادة العامة لأبي عبيدة بن الجراح. وخصَّ أبو بكر كلَّ جيش بقطاع من أرض الشام: فأبو عبيدة لحمص، ويزيد لدمشق، وشرحبيل للأردن، وعمرو لفلسطين.

فلما خرج أبو عبيدة بعث أبو بكر معه قيس بن هبيرة ليكون في جيشه، وكان أبو بكر لا يرى أحدا يماثل براعة خالد بن الوليد في العرب إلا قيس بن هبيرة، فذهب أبوبكر إلى أبي عبيدة، وقال له نصيحة من خبير بنفوس الرجال:

إنه قد صحبك رجل عظيم الشرف، فارس من فرسان العرب، ليس للمسلمين غناء عن رأيه ومشورته وبأسه في الحرب، فأدنه، وأره أنك غير مستغنٍ عن رأيه ولا مستهين بأمره، فإنك تستخرج بذلك نصيحته لك وجهده وجده على عدوك.

وفى نفس الوقت أوصى أبو بكر قيسا فقال:

**إني بعثتك مع أبي عبيدة وهو الأمين الذي إذا ظلم لم يظلم،
وإذا أسىء إليه غفر، وإذا قطع وصل...**

وكان أبو بكر يعدل بأبي عبيدة كل المهاجرين وفيهم عمر.

وفي وصف رائع لقيادة أبو عبيدة لجيشه ما رواه المؤرخون في أحداث معركة فحل بيسان والتي كانت بين جيش أبي عبيدة ومعه خالد بن الوليد كجندي في الجيش وذلك بعد أن عزله عمر، وبين الروم.. فترى فيها صورة لقائد فريد في قيادته. وذلك أن المسلمين والروم التقوا عند مدينة بيسان، والمسلمون في الجانب الجديب من نهر الجارود و الروم في الجانب الخصيب، وفجر الروم النهر، فوحلت الأرض وزاد الأمر صعوبة على المسلمين. وظل الوضع هكذا أياما لا يستطيع المسلمون العبور.. حتى كانت ليلة قام أبو عبيدة في الثلث الأخير فأيقظ الجيش، وصفه على تعبثته (هيئة الدخول في معركة) ثم صلى بهم الفجر. تقول الرواية:

” وهكذا كان يفعل كل يوم ”

في إشارة بليغة إلى أن هؤلاء لم يكونوا محاربين بالمعنى الذي يرد للذهن بل كانوا مجاهدين في سبيل الله، حيث صلاة الفجر أولى اهتمامهم وأول شيء يبدأوا به يومهم.

وظن قائد الروم أن المسلمين نيام، وأنهم لا يعبرون إليه، وأنه سيباغتهم إذا هجم في هذا الوقت المبكر قبل طلوع نور الصباح، فعبر هو إليهم، فإذا بالمسلمين على تعبثتهم، وكان الروم 80000 مقسمين على خمسة صفوف لا يرى أولهم من آخرهم، وجعل أبو عبيدة خالد بن الوليد على الفرسان كعادته. فرشق الروم فرسان خالد فتراجعت الخيل.

فلما رأى خالد أن قلب الجيش عند الروم صعب ولا يمكن اختراقه قسم فرسانه إلى قسمين: نصف إلى اليمين وآخر إلى الشمال، فأسرع الروم في أثره فتخلل القلب كما أراد خالد. وانسحب الروم بعد ذلك فتورطوا في الأحوال التي فجرها فصار المسلمون يصدونهم مثل البط فلم يفلت من ال ٨٠ ألف إلا القليل.

وأيد الله المسلمين يومئذ بما كانوا يكرهون من هذه الأحوال ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝١٩ ﴾ ثم ببركة قيام الليل وصلاة الفجر وهما عند هؤلاء الصف من القادة أعظم نكاية في العدو من السيوف وأفضل قرية يسأل الله سبحانه بها.



مقام أبي عبيدة بن الجراح بالأردن

أبو عبيدة وخالد

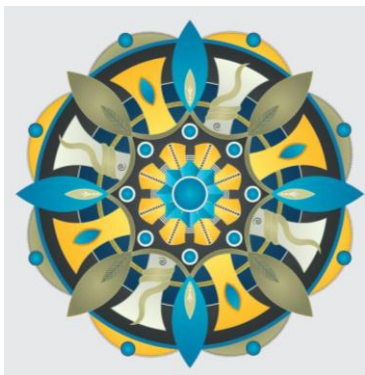
كان أبو عبيدة كما ذكرنا أحد القادة الأربعة الذين أرسلهم أبو بكر الصديق إلى الشام، ثم بعث إليه خالد بن الوليد بنصف بجيشه من العراق، وأمّر أبو بكر خالد بن الوليد على القادة الأربعة. فوصل خالد إلى الشام وأبو عبيدة يحاصر دمشق.. فقال أبو عبيدة لخالد تقدم فصل إماما بالناس. فقال خالد وهو الأمير: ما كنت لأتقدم رجلا سمعت رسول الله يقول فيه: " لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة".

فلما جاء البريد من عمر بعزل خالد وتولية أبي عبيدة قائداً عاماً كتم أبو عبيدة الأمر فترة، وذلك من شدة حياؤه من خالد، حتى أن خالد علم بأمر عزله من الجيش، ولم يستطع أبو عبيدة أن يخبره به صراحة، فلما علم خالد بالأمر قال: أيها الناس أما والله لقد أمر عمر عليكم أمين هذه الأمة... سمعته من رسول الله ﷺ. وكان خالد قد وضع عن أبي عبيدة هما عظيما فانطلق يرد سريعا ويقول: أما والله إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: خالد سيف من سيوف الله، نعم أخو العشيرة.

وظل الأمر على أرقى درجات التفاهم والود بين الرجلين العظيمين خالد وأبي عبيدة، فهذا قائد سابق وذاك قائد حالي، ولكن الواقع الفعلي أنك لا تدري أيهما القائد فأبو عبيدة يرجع لخالد في كل شيء، وخالد دائما رأيه مع هوى أبي عبيدة، وذلك في نموذج فذ للأخوة الصادقة،

والإخلاص لله سبحانه. فكان أبو عبيدة إذا أراد أن يولي أحدا ميمنته أو ميسرته يسأل خالد أولا من كنت تولي؟ فإن قال: فلان وياه، وإن قال: غير واحد. يسأله: فما تقول في فلان؟.

وروي أَنَّ مُعَاذًا سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَوْ كَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ موجودًا، مَا كَانَ بِالنَّاسِ هَذَا الْحِصَارَ (لما تأخر حصار دمشق)، فَقَالَ مُعَاذٌ: فَإِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ تَضَطَّرُّ الْمُعْجِزَةُ لَا أَبَا لَكَ! وَاللَّهِ إِنَّهُ لَخَيْرٌ مَنْ بَقِيَ عَلَى الْأَرْضِ. **رَوَاهُ: الْبُخَارِيُّ فِي (تَارِيخِهِ)** ويقصد لو كان لأحد كرامات ومعجزات فهي أولى أن تكون لأبي عبيدة الذي كان بالإجماع أفضل الصحابة الذين ذهبوا إلى الشام مرتبة ومقاما وسبقا للإسلام ولذا لم يختلف على قيادته أحد.



❖ كان عمر جالسا يوما مع أصحابه فقال: تَمَنُّوا، فقال رجل: أتمنى لو أن لي دارا مملوءة ذهباً أنفقه في سبيل الله عز وجل. ثم قال عمر: تَمَنُّوا، فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً أنفقه في سبيل الله، وأتصدق به. قال عمر: تَمَنُّوا، فقالوا: يا أمير المؤمنين ما ندري؟ فقال عمر:

**لَكِنِّي أَمَنِّي بَيْتًا مُمْتَلِئًا رَجَالًا مِثْلَ أَبِي عَبِيدَةَ بْنِ
الْجَرَّاحِ**

وفي هذه القصة البسيطة إشارة عظيمة لمنزلة أبي عبدة.

❖ ولا تعجب بعد ذلك إذا قال عمر لما بلغ مدينة قرب الشام، فعلم أن وباء الطاعون منتشر بالشام. فقال: إن أدركني أجلي، وأبو عُبيدة بن الجراح حي، استخلفته وما شاورت!!، فإن سألتني الله: لِمَ استخلفته على أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟ قلت: إنني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن لكل نبي أمينا، وأميني أبو عبدة بن الجراح.

❖ ولما قدم عمر الشام، فتلقاه الأمراء ووجهاء الناس، فقال عمر: أين أخي أبو عبدة؟ قالوا: يأتيناك الآن. فلما أتاه صافحه، وقبل يده (وهذه إشارة أخرى لعلو منزلة أبي عبدة حتى أن عمر يقبل

يده)، وَتَحَيَّا يَبْكِيَانِ. فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى أَتَى مُنْزِلَهُ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا سَيْفَهُ وَتُرْسَهُ وَرَحْلَهُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَوْ اتَّخَذْتَ مَتَاعاً، أَوْ قَالَ: شَيْئاً. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّ هَذَا سَيُبَلِّغُنَا الْمَقِيلَ (أي هذا يكفي لبلوغ المراد في هذه الدنيا). فقال عمر:

غَيْرَتَنَا الدُّنْيَا كُنَّا، غَيْرَكَ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ.. رواه أبو داود

وهذا والله هو الزهد الخالص... زهد من يملك الدنيا بيده فيتركها.

❖ وَأَرْسَلَ عُمَرَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بِأَرْبَعِ مِائَةِ دِينَارٍ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ: انظُرْ مَا يَصْنَعُ بِهَا. قَالَ: فَسَمَّهَا أَبُو عُبَيْدَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَ عُمَرَ إِلَى مُعَاذٍ بِمِثْلِهَا فَسَمَّهَا، إِلَّا شَيْئاً قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ نَحْتَا جِ إِلَيْهِ، فَلَمَّا أُخْبِرَ الرَّسُولُ عُمَرَ، قَالَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ يَصْنَعُ هَذَا.

❖ ولما بلغ عمر أن الطاعون قد انتشر بالشام خشي على أبي عبيدة من الموت فبعث إليه رسالة قال فيها: إِنِّي بَدْتُ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً لَا غِنَى لِي عَنْكَ فِيهَا، فَإِنْ أَتَاكَ كِتَابِي لِيلاً فَإِنِّي أُعْزِمُ عَلَيْكَ أَلَّا تُصَبِّحَ حَتَّى تَرْكَبَ إِلَيَّ، وَإِنْ أَتَاكَ نَهَاراً فَإِنِّي أُعْزِمُ عَلَيْكَ أَلَّا تُمْسِيَ حَتَّى تَرْكَبَ إِلَيَّ.. فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب، قال: قد عَلِمْتُ حَاجَةً أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيَّ، فَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَبْقِيَ وَأَنَا لَسْتُ بِبَاقٍ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ حَاجَتَكَ إِلَيَّ، وَإِنِّي فِي جُنْدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا أَجِدُ بِنَفْسِي رَغْبَةً عَنِ الَّذِي يُصِيبُهُمْ وَلَا أُرِيدُ

فِرَاقَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيَّ وَفِيهِمْ أَمْرَهُ... فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا
فَحَلِّلْنِي مِنْ عَزْمِكَ، وَانْذَنْ لِي بِالْبَقَاءِ .

فَلَمَّا قَرَأَ عَمْرُ الْكِتَابَ بَكَى، فَقَالَ لَهُ مَنْ عِنْدَهُ - لِشِدَّةِ مَا رَأَوْهُ مِنْ
بِكَائِهِ-: أَمَاتَ أَبُو عُبَيْدَةَ؟ فَقَالَ: لَا، وَكَأَنَّ قَدْ (بِمَعْنَى أَنَّهُ عَلَى
وَشَكِّ أَنْ يَمُوتَ). صحیح أخرجه الحاكم على شرط الشيخان.



باب توما، أحد الأبواب على سور دمشق التي دخل منها المسلمون لدمشق بقيادة
أبي عبيدة

بدأ الطاعون في عمواس، وهي قرية قرب بيت المقدس، فسُمي "طاعون عمواس" ثم انتشر في بلاد الشام. ويبدو أن الطاعون انتشر عقب المعارك التي حدثت في بلاد الشام، فرغم أن المسلمين كانوا يدفنون قتلاهم، فإن آلاف القتلى من البيزنطيين بقيت جثثهم في ميادين القتال من غير أن تُدفن، حيث لم تجد جيوشهم المنهزمة دائماً الوقت الكافي لدفن القتلى. واستمر هذا الطاعون شهراً.

رأى أبو عبيدة جنده يتساقطون أمامه بالطاعون لا يملك لهم شيئاً، فقد مات في هذا الطاعون أغلب الصحابة الذين فتحوا الشام معه، حتى قيل إنه لم يبق من أهل اليرموك وكانوا 36000 إلا أقل من ستة آلاف!! ومات فيه ثلاثة من القادة الأربعة الذين فتحوا الشام وهم أبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، كما مات فيه بعض كبار الصحابة منهم معاذ بن جبل والفضل بن العباس وأبو جندل.

ولم ينج من القادة الأربعة سوى عمرو بن العاص، والذي جعل الله نهاية هذا الوباء على يديه بفضل حسن تدبيره فإنه لما رأى أن الآلاف من المسلمين يموتون، قام عمرو فقال: « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا الطَّاعُونُ إِذَا وَقَعَ فَأَيْمًا يَشْتَعِلُ اشْتِعَالَ النَّارِ، فَتَفَرَّقُوا مِنْهُ فِي الْجِبَالِ وَالْأودية »، واعترض بعض الصحابة عليه آخذين بظاهر حديث عن عائشة - رضي الله عنها - أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الطَّاعُونِ،

فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ عَدَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونَ، فَيَمُوتُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ " صحیح البخاری .

لكن عمرو رفض ظاهر فهمهم للحديث وأصر على ما نسميه اليوم بالتباعد الاجتماعي بمعنى أنهم لن يخرجوا من البلد كما أمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث لكنهم سيتباعدون في الأودية داخل نفس البلد حتى لا ينتشر المرض، وقال في عزم رغم اعتراض الصحابة: وَإِيمُ اللَّهِ لَا نُقِيمُ عَلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَ النَّاسُ فَتَقَرَّفُوا عَنْهُ وَدَفَعَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ. رواه أحمد.

فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْ رَأْيِ عَمْرٍو فَوَاللَّهِ مَا كَرِهَهُ، بَلْ وَأَقْرَبَهُ عَلَيْهِ.



وفاة أبي عبيدة

ولما أصيب أبو عبيدة بالطاعون دعا من حضره من المسلمين فقال:
إني موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير:

أَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَآتُوا الزَّكَاةَ، وَصُومُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَحُجُّوا، وَاعْتَمِرُوا،
وَتَوَاصَلُوا، وَتَحَابُّوا، وَاصْدُقُوا أُمَّرَاءَكُمْ وَلَا تَغُشُّوهُمْ، وَلَا تُلْهِمِ الدُّنْيَا؛
فَإِنَّ أُمَّرَأً لَوْ عَمِرَ أَلْفَ سَنَةٍ مَا كَانَ لَهُ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَصِيرَ إِلَى مَصْرَعِي
هَذَا الَّذِي تَرُونَ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ الْمَوْتَ عَلَى بَنِي آدَمَ فَهُمْ مَيِّتُونَ.
وَأَكْرَمُهُمْ مِنْهُمْ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَأَعْلَمُهُمْ لِيَوْمِ مَعَادِهِ.

وتوفي أبو عبيدة عام 18 هـ وعمره 58 سنة. ودفن بغور الأردن. وكان
أبو عبيدة قد استخلف على الجيش قبل موته معاذ بن جبل، فخطب
معاذ في الناس فقال:

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّكُمْ قَدْ فُجِعْتُمْ بِرَجُلٍ - وَاللَّهِ - مَا أَعْلَمُ أَيْ رَأَيْتُمْ رَجُلًا
أَقْلَ حِقْدًا وَلَا أَبْرَّ صَدْرًا، وَلَا أَبْعَدَ غَائِلَةً وَلَا أَنْصَحَ لِلْعَامَّةِ مِنْهُ،
فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِ يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ

ووقف معاذ بعد دفنه على قبره فقال: يا أبا عبيدة لأتُنينَّ عليك ولا أقول
إلا صدقا:

**كُنْتَ وَاللَّهِ - عَلَى مَا أَعْلَمُ - مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَمِنَ
الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونًَا، وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ**

قالوا سلاماً، ومن الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواماً، وكنت والله من الخبثين المتواضعين
الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويبغضون الخائنين
المتكبرين.

رحمك الله يا أبا عبيدة



كلمة أخيرة (حسن الخلق)

كان السميت الأبرز في حياة سيدنا أبي عبيدة هو حسن خلقه، والحق أن الأخلاق نالت حظًا وافراً من حديث رسول الله ﷺ.

• ورسول الله ﷺ كان أحسن الناس خلقاً. متفق عليه. وقد زكاه ربه سبحانه فقال ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾.

• وكان ﷺ يقول: إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدِكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَائِرُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَقِيهِقُونَ، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثَّرَائِرِينَ وَالْمُتَشَدِّقِينَ فما المتَقِيهِقُونَ؟ قال: المتَكَبِّرُونَ. صحيح الترمذی.

• وتكفل رسول الله ﷺ ببیتٍ في أعلى الجنّة لمن حسن خلقه فقال: أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِجًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ. صحيح أبي داود.

• واعتبر ﷺ دليلاً على كمال الإيمان فقال: أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً. وخياركم خياركم لنسائهم صحيح الترمذی. وكان يقول: أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً،

الَّذِينَ يَأْتُونَ وَيُؤْتُونَ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ لَا يَأْتُ وَلَا يُؤْتُ. صححه
الألباني

- وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: مَا مِنْ شَيْءٍ أَنْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَدِيَّ صحیح الترمذی
- ويقول: إِنْ الْمُؤْمِنُ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ. صححه
الألباني

- وقد سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ قَالَ الْفَمُّ وَالْفَرْجُ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ قَالَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ صحیح الترغيب والترهيب

بل إن الإسلام جعل العبادات إحدى ركائز محاسن الأخلاق، والتربية على معالي الأمور، فالصلاة تَنْهَى عن الفحشاء والمنكر.. وقيام الليل مَنْهَاجٌ عن الإثم.. والصيام تربية على ضبط النفس وإحسان القول.. ففي الحديث: إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْحَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي أَمْرُؤٌ صَائِمٌ. رواه البخاري ومسلم

وسيدنا أبي عبيدة بن الجراح كان التطبيق الحي لكل هذه الأحاديث، رضى الله عنه وأرضاه.

هذه الكتيبات

هذه المحاولة في تلخيص تاريخ الشخصيات المميزة عبر تاريخنا الإسلامي أخذت منى سنين طويلة حتى أصل إلى هذه النتيجة.

ومن وجهة نظرى تتميز هذه الكتيبات بما يلي:

- 1- جميع الأحاديث النبوية الواردة فى الكتيبات تم تخريجها للتأكد من صحتها. مع تجنب ذكر أي رواية غير موثقة.
- 2- التركيز فقط على الجوانب الإيمانية والخلقية في الشخصية.
- 3- التعليقات فى الحدود الدنيا، منعا للتطويل لكنى أضفت كلمة أخيرة في نهاية معظم الشخصيات للحديث عن أبرز سمة.
- 4- اللغة السهلة في الكتابة لتتناسب عموم الناس.
- 5- الحجم الصغير بحيث لا يستغرق قراءته أكثر من 20 دقيقة.

في النهاية **أؤكد على أنى لست عالم دين، ولكنى مسلم عادى يحاول خدمة دينه** بعرض هذه النماذج من تاريخنا بالصورة اللائقة دون تزويق أو تزوير، بهدف الاقتداء المستتير بهذه الشخصيات.

جميع الكتيبات تجدها في موقعى www.drgilany.com

هذه الكتيبات وقف لله تعالى على روح والدتى رحمها الله.